لغة القرآن الكريم .. لماذا فى حضانة مصر ؟!

من أجل ذلك ، كانت لمصر زعامة هذا العالم العربى الإسلامى ، ولهذا كان احتضانها للغة العربية ، ودفاعها عنها ، إنما هو تأكيد لهذه المسئولية ، الملقاة على عاتقها ، قبل أن يكون واجبا تقتضيه شريعة الإسلام الذى هو الدين الرسمى لها .

إبراهيم مصبّح

الداعية الإسلامى يحتاج إلى كل هذه الدراسات التى يأخذها من اللغة العربية والأدب وأصول الدين والشريعة ، وهيهات له أن يقف على قدميه إذا قصر جهده على ناحية واحدة من هذه كلها . ونحن نعانى الآن من التخلف فى بعض النواحى العلمية الخاصة باللغة العربية . ولا نستطيع أن نمسك بشراع السفينة إلا إذا قضينا على أمراض وفدت علينا من الخارج وأخرى وفدت إلينا من الداخل .

وفى مجال محنة اللغة العربية وضرورة النهوض بها ورعايتها . لتكون سمة ظاهرة فى مجتمعنا العربى الأصيل ، يقرر الدكتور إبراهيم على أبو الخشب الأستاذ بجامعة الأزهر : أننا مازلنا نخط فى النوم إلى هذا الحد الذى صرنا نشكو فيه ضياع اللغة العربية ضياعا وصل بنا وبها إلى درجة الهبوط . وبعد أن كنا نقول :

حذوا بيدها فى الإذاعة والصحافة والمنتديات العامة أو الخاصة ، صرنا نقول : حذوا بيدها فى دورها التى تدرس فيها وتمشى على قدميها . وتتطلع للنهوض والازدهار ، لأنها لم يعد لها من الاهتمام والرعاية ، كالذى كان لها من قبل ، ولعلنا نذكر أن الكبار أصبحوا كالصغار . فى الأخذ بالخطأ ، والنطق بما يخالف القاعدة . وتحريف الكلم عن مواضعه ، ولابد من التنبيه هنا على أن هذه الصيحة التى نعلنها هنا تنطوى على هدفين كلاهما له وزنه واعتباره :

أحدهما دينى بحت : يتعلق بفهم النص من الكتاب والسنة ، وهو بلا ريب المفتاح السحرى لبيان الغرض ، وكشف المعنى ، وجلاء الغامض ، وتحديد الهدف فى اللغة العربية . المنطوى على المجاز والاستعارة والكناية والتعريض ، وتؤكد برفعها للاسم وضعه فى باب الإسمية ، إن كان فاعلا أو مبتدأ أو خبرا ، وإن كان منصوبا إلى بقية باب بنتمى . وبذلك ينتظم الغرض من سياق الجملة ، أو تأليف الكلام . وكثيرا ما يكون التشويش فى الفهم أو التخبط فى الوصول إلى المعنى بسبب تلك الحلقة المفقودة من البيان ، أو الضائعة فى زحمة الجهل ، وبدرك ذلك تمام الإدراك من يضمه بعض المجالس بهؤلاء الذين يتعثرون فى النطق ، ويتخبطون فى الصواب ، ويساقون إلى صحيح الإعراب – أى النطق العربى السليم – كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون .

الثانى : هو الهدف السياسى أو الاجتماعى : وهو مالابد من الاهتمام به أولا وقبل كل شىء – ذلك أن وضع مصر من العالم العربى والإسلامى يجعلها أما حنونا تبادل هذا العالم الحب والعطف والشفقة ، ولا تكتفى من ذلك كله ، بأضعف الإيمان ، الذى يكون بالقلب فقط ، إنما يترجم ذلك إلى عمل نافع ، وبر دائم ، ونهوض تام . كما هو شأن الأم التى تسهر على رعاية أولادها وتربيتهم ودفع الأذى والضرر عنهم .

لقد نشأنا هنا فى مصر ، منذ القدم ، على أن تكون معاملتنا لهذا العالم العربى والإسلامى على هذا النمط وبهذا الأسلوب . وكان الأزهر على المدى البعيد همزة الوصل إذ بعثوا بأبنائهم ليتلقوا منه ووقفوا الأوقاف عليه ، وكانوا ولا يزالون يعتبرونه كعبتهم الثانية . وأروقته القائمة الآن تربطه بهؤلاء جميعا تاريخيا وحضاريا ولا يمكن أن يقول قائل إن ذلك غير صحيح . ومن أجل ذلك كانت لمصر زعامة هذا العالم العربى الإسلامى . ولهذا كان احتضانها للغة العربية . ودفاعها عنها إنما هو تأكيد لهذه المسئولية الملقاة على عاتقها . قبل أن يكون واجبا تقتضيه شريعة الإسلام الذى هو الدين الرسمى لها .

د . ابراهيم أبو الخشب

كان لمصر هذا الفضل الذى منحه الله جل وعلا لأهلها . الذين استقام لسانهم على البيان . وانطبع على الإفصاح . واستجاب للغة . وكأنهم ولدوا فى بطاح مكة ، أو جبال نجد . وهم منذ الفتح الإسلامى يشتغلون بالقرآن حفظا وتجويدا وفهما لآياته وتدبرا لمعانيه ، ساعدهم على ذلك كله أنهم أكثر البلاد الإسلامية مساجد ودور عبادة لقد كانت المساجد منذ بنى عمرو بن العاص مسجده ثم أحمد بن طولون ثم الأزهر الشريف ، منارة إشعاع ، وموقع علم وفقه . كان كتاب الله فيها بمثابة حروف الهجاء منها . يشتغل به الناس فى أول الأمر عناية واهتماما وكان له الأثر الواضح فى تقويم اللسان ، وصقل الذهن ، ووضاءة البيان ، وحسن التصوير ، وجمال الأسلوب ، وصمود الأزهر بعد ذلك كله للحوادث ، ومصارعته للخطوب ، ووقوفه فى وجه الزمن واستمراره فى أداء رسالته للدين والحضارة ، والثقافة والتهذيب ، والعلم والمعرفة . كان – عاملا مهما ، فى أن يكون لأبناء مصر هذه المزايا وتلك الفضائل .

ولابد أن يفهم الناس هنا وهنالك ، أن اللغة العربية ليست مجدا يعتزون به ، أو تراثا نتطاول به اعناقهم ، بمقدار ما هى قوام حياتهم ، وسياج لعقيدتهم ، وحفظ لدينهم ، وتخليد لكتابهم ، وأمان لوجودهم ، وعنوان على حقيقتهم وردائه لشرفهم .

وحين نرى هذه العوامل من القدم تتناوب العدوان عليها فى الإذاعة أو الصحافة أو المحافل أو النوادى ، وندرك أن الفجوة واسعة إلى مدى بعيد بينها وبين هذه الجماهير التى نريد أن نقدم لها كتاب الله الكريم نؤديها به ، أو نحكمه فيها ، أو نقربها منه ، لابد أن نهزنا العاصفة لأن غزوا خطيرا يعلن علينا حرب الدمار ، فى أقدس أمجادنا وأعز ما لدينا من مقومات لنا ، لدى الأمم والشعوب .

فإذا كان ذلك كله داخل معاهدنا أو مدارسنا التى نعتمد عليها فى تربية الأجيال ، وتثقيف العقول ، وصقل الأفكار وتنمية الملكات . كان هذا لا يصح السكوت عليه ، ولا التهاون فيه . ولهذا فما لا ريب فيه أن التقرير العام الذى يسبق الخروج إلى جهاد المسلمين ، كل المسلمين ، للدفاع عن الأوطان ، واستخلاصها من براثن العدو الغاصب ، ليس أكثر وجوبا ، ولا أشد حتمية ، على كل مسلم ومسلمة ، من هذه الدعوة التى ينادى بها الداعى إلى إنقاذ اللغة العربية من هذا المنحدر الذى سقطت فيه ، وعلى كل ذى رأى وفكر وبصر وعقل ، ومهارة

حديث قدسى

أين المتحابون فى الله ؟

قال رسول الله ﷺ : يجىء يوم القيامة ، فيقول الحق سبحانه : أين المتحابون فى ؟ أين المتجالسون فى أين المتزاورون فى ؟ حتى أظلهم بظل يوم لا ظل إلا ظلى .

دعـــاء

أسألك إيمانا دائما ..

اللهم إنى أسألك إيمانا دائما ، وقلبا خاشعا ، وعلما نافعا ، ويقينا صادقا ، ودينا قيما .

وأسألك دوام النجاة من كل بلية ، وأسألك دوام العافية ، وأسألك تمام العافية ، وأسألك الشكر على العافية ، وأسألك الغنى عن الناس .

وحذق . وعلم وتجربة . أن يشير على من بيدهم الأمر فيما يجب أن يأخذوا به لصلاح حالها ونهوض شأنها . وارتفاع صوتها وعودتها صاحبة الصوت المدوى . والكلمة المسموعة . ينطق بها التلميذ فى المدرسة والاستاذ على منصة الدرس والخطابة . والمذيع عبرالأثير . وكل من يتصدر دعوة من الدعوات . وربما كان الإقبال عليها . معينا على محو الأمية فى الفكر والرأى . والدين والأخلاق . لأن الجاهل بها جاهل على طول الخط . ولا يمكن لمتعثر فيها . أن يفهم قضية فى الفقه . أومسألة فى الدين . أونظرية فى الفلسفة . أوبرهانا فى المنطق . أوبيتا من الشعر . لأن الاستقامة على نهجها والالتزام بقوانينها . والسير على قواعدها . وضع للألفاظ فى موضعها الصحيح الذى يبرز فيه المعنى . ويتضح به الغرض . وفى كل علامة من علامات الإعراب صوت ينادى بالمعنى . وإحلال للفظ فى محله الذى يليق به من الفاعلية أو المفعولية . أو الابتداء والخبر . والحال والتمييز .

من أجل هذا . فإن حديثنا عن اللغة العربية لما لحق بها من هوان جعلها تتعرض للضياع . لا نعنى به أنه لا نصيب لها فى مناهج الدراسة . أوأن الوقت الذى تشغله فى اليوم المدرسى ضئيل . أو أن الأساتذة الذين يقومون بها يفتقدون الكفاية والجدارة . ولكننا نقول . إننا بحاجة إلى حد بعيد إلى أن نصل من الدراسة أو إعدادنا لهذا الجيل الذى نرجو أن يحمل الراية من بعدنا أن يكون ارتباطه باللغة أو تعامله معها على أساس أن تكون ملكة راسخة فى نفسه .

من هذا المنطلق . نوجه النداء للأزهر الشريف . هذا المعهد الخالد . أن يقف كالحارس للغة الكتاب والسنة . ليحفظها من الضياع ويبدو عنها بكل غال .

والذى نريد أن نؤكد عليه . ونتبه إليه . أن الوطن فى حاجة إلى أن يكون الطلاب مقبلين على الدروس أكثر من أية حاجة أخرى . وأننا إذا كنا نهدى فى الماضى . فلا يصح أن نظل على هذا الاسلوب فى الحاضر أو المستقبل . إننا بالدين واللغة والعلم نجعل مصر فى مكان القيادة والريادة وهو شرف لا يصح أن نفرط فيه . ولا أن نضيعه بأى ثمن مهما كان .

أين نحن الآن من هؤلاء الذين كانت تستجيب لهم اللغة . ويطاوعهم البيان ؟ وهل ولدتهم أمهاتهم هكذا . أوأن التعليم والقراءة والتحصيل والحفظ والممارسة والحياة الحادة التى كانت تساعدهم على أن يغنموا من الوقت . ويكملوا ما أمامهم من النقص . بهذه المعارف التى يجمعونها . والثقافة التى يأخذونها والآداب التى يحصّلونها . ولم يدر بخلدهم أن هنا لك مجدا وراء هذا المجد الذى يجىء عن طريق العلم .

القضاء والقدر

ورأى الإمام على

كتب الحجاج بن يوسف إلى الحسن البصرى . وواصل بن عطاء . وعامر الشعبى . وعمرو بن عبيد يسألهم عن القضاء والقدر :

فأجابه أحدهم : لا أعرف فيهما . إلا ما قاله الإمام على بن أبى طالب : « أتظن أن الذى نهاك دهاك ؟ إنما دهاك أسفلك وأعلاك . وربك برىء من ذاك » .

وأجابه آخر لا أعرف فيهما إلا ما قاله أمير المؤمنين على بن أبى طالب « ما حمدت الله عليه فهو منه . وما استغفرت الله منه فهو منك » .

وأجابه آخر : لا أعرف فيهما . إلا ما قاله الإمام على بن أبى طالب : أتظن أن الذى فتح لك الطريق . ألزمك الضيق » .

وأجابه آخر : لا أعرف فيهما . إلا ماقاله الإمام على بن أبى طالب : « إن كانت المعصية حتما . فالعقوبة تكون ظلما » .

فلما تسلم الحجاج هذه الأجوبة قال : قاتلهم الله ! لقد أحدوا جميعا من عين صافية ! !

التكافل الاجتماعى فى الإسلام

العالم كله مدين للإسلام . الذى حرر العقول . وفتح الآفاق أمام الناس . ولم يجعل لتلقى العلم حدا معينا . لأن الإسلام لا يحجر على العقول . ولا يغلقها فى إطار محدود . ومعارف معينة . .

منصور الرفاعى عبيد

إن الإسلام ينشد إقامة مجتمع سليم ترفرف عليه أعلام المحبة والوئام . بحيث يكون أبناء هذا المجتمع فيما بينهم مترابطين بحبل المودة والإخاء . .

فلا غل ولا حقد ولا كراهية : انما تعاون على الخير فى إطار : لا ضرر ولا ضرار . ولذلك كان التكافل الاجتماعى بين أفراد هذا المجتمع قائما على الأخذ والعطاء وتبادل الخبرات والمعارف . ومن أعظم ما يتمتع به المجتمع المسلم ما يأخذه التلميذ من أساتذته من المعارف والعلوم والأدب والأخلاق فى حجرة الدرس وفى مجال القدوة الحسنة . ذلك أن الإسلام يدعو أتباعه إلى التكافل الاجتماعى فى كل ميدان من ميادين الحياة . ومن أعظم هذه الميادين ميدان نشر العلم والاستزادة منه عن طريق التحصيل والتعلم . لأن العلم يرقى الوجدان . ويسمو بالروح ويهذب النفس ويوجد الابتكار فى كل مناحى الحياة ليدفع بها إلى التقدم والازدهار . .

والإسلام يطالب أتباعه أن يوسعوا مداركهم ويبلوا من المعارف التى تؤصل القيم الأخلاقية وتكون سببا فى استخراج كنوز الأرض . والبحث عن الخيرات المبثوثة فى الكون والمنتشرة فى الآفاق . ويقول الله سبحانه : « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » . .

وهذه دعوة للسياحة والانتقال من مكان إلى مكان طلبا فى زيادة المعرفة وتوسيع المدارك فى الإنسان يقول القائل :

سافر تجد عوضا عمن تفارقه
وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب
إنى رأيت وقوف الماء يفسده
إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

وهناك دعوة موجهة إلى جميع الأفراد أن يرددوا ما قاله كتابهم الكريم : « وقل رب زدنى علما » .

والعلم يستطيع الإنسان أن يحصله من كتاب يقرأه أوكلمة يسمعها . أو منظر يراه : والإنسان يستطيع أن يقرأ صفحة الكون لأن كتاب الكون مفتوح أمام عينى كل إنسان . والله سبحانه يقول « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » .

فالعلم فى الإسلام سهل ميسر رغب فيه الشرع وحث عليه وفى هذا جاءت أول آية نزلت على نبى الإنسانية تحث على تحصيله وتطالب بذلك . .

يقول الله تبارك وتعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم » .

وكذلك أقسم الله بالقلم لمنزلته فى بيان الحق وترجمة معانى الخير . يقول الله سبحانه : « ن والقلم وما يسطرون » . ويقول سبحانه : الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان . ولمنزلة العلم وشرفه جعل الله أهل العلم فى المرتبة الثانية بعد الملائكة فى الشهادة له بالوحدانية والحق والعدل . وناهيك بهذه منزلة : يقول الله تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » فأنت ترى أن الله سبحانه قد بدأ بنفسه وثنى بملائكته وأتبعهم بأولى العلم من العلماء الأتقياء للإنسانية الذين يعملون على الابتكار لكل ما فيه سعادة الإنسان ورقيه وتقدمه . .

وإذا ذهبنا نحصى ما قاله القرآن فى فضل العلم ورفع مكانة العلماء وعلو منزلتهم فإننا نحتاج إلى كتب وكتب . ذلك : لأن الإسلام يدعو إلى العلم وتحصيله ورسول الله ﷺ هو الذى شرح لنا آيات القرآن وبين لنا ما حق علينا فهمه . وأمرنا أن نقتدى به وأن نتعلم منه . ونراه طبق هذه النظرية : فعندما هاجر من مكة إلى المدينة وجه زيد بن ثابت ليتعلم لغة غير العربية ليستطيع الرد على المكاتبات التى تأتى من الدول الأخرى وترجمتها لرسول الله ﷺ . كما أن رسول الله ﷺ حث على تعلم الحساب ليتمكن الناس من تقسيم المواريث والأنصبة التى حددها الله والتى فيها السدس . والثمن . والربع . . والقرآن قبل ذلك يقول « ولتعلموا عدد السنين والحساب » . . فزيد بن ثابت : تعلم اللغة الأجنبية وكان مترجما لرسول الله ﷺ : كذلك فى غزوة بدر عندما وقع الأسرى من المشركين فى يد المسلمين . وكان الواحد منهم يريد أن يفدى نفسه حتى لا يكون عبدا تحت يد مسلم : ومن لم يستطع دفع الفدية التى حددها المسلمون من المال وهى – ما تعارف عليه المجتمع آنذاك – كان عليه أن يعلم عشرة من المسلمين وأولادهم – وهذه أول دعوة لتعليم الكبار – أو نحو الأمية . .

فالإسلام فى هذا المجال سبق جميع الأنظمة التى تدعو لمثل هذا العمل وإن كان الكل يهدف إلى الخير وتعميم المعرفة .

منصور الرفاعى عبيد

حديث شريف

لعدوهم قاهرون

روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى أمامة قال :

قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين . لعدوهم قاهرين . لا يضرهم من خالفهم . ولا ما أصابهم من الأعداء حتى يأتيهم أمر الله . وهم كذلك » . قالوا : يا رسول الله وأين هم ؟ قال : بيت المقدس . وأكناف بيت المقدس .